

المصاحبة اللفظية في شعر لبيد بن ربيعة العامري؛ دراسة دلالية

سيد محمود ميرزايبى الحسيني*

على نظري**

يونس وليبي (الكاتب المسؤول)***

الملخص

المصاحبة اللفظية ظاهرة لغوية تشيع في جميع اللغات ولا تختص بلغة واحدة، والمراد منها هو الترابط المعتاد لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة في جمل تلك اللغة. وهى مبحث مهم في علم الدلالة، لأن لها دوراً هاماً في توجيه دلالة كثير من الألفاظ والتراكيب وهى سمة مميزة لبنية النصّ ومفتاح لقراءته وتحليله وتفكيكه. هذه الظاهرة تؤكد على أننا بحاجة إلى النظر في تراكيب الألفاظ وتلازمها وتصاحبها للوصول إلى المعنى المراد إضافة إلى المعنى المعجمي للألفاظ. تحليل المصاحبات وتصنيفها يبيطان اللثام عن المقومات الأسلوبية في لغة الشاعر ونظامه الفكرى ويساعدان القراء والنقاد على إصدار حكم نقدي واقعي بالنسبة إلى الشاعر. يقوم هذا البحث بتتبّع المنهج التوصيفي - التحليلي بدراسة أشعار لبيد بن ربيعة العامري من منظار علم الدلالة وخاصة ظاهرة "المصاحبة اللفظية" للإجابة عن السؤالين الأصليين: ما هى وجوه المصاحبة اللفظية الموظفة في شعر لبيد؟ وكيف تسهم هذه الظاهرة في تحديد دلالة التراكيب والألفاظ وفي إدراك المعنى؟ يظهر من خلال هذا المقال أن الشاعر وظّف المصاحبات اللفظية على المستويين الأساسيين الفعلى والاسمى بأنماطهما المختلفة في شعره. ونرى أنّ المصاحبة اللفظية لها أهمية خاصة في الوصول إلى غرض الشاعر لأن بعض الأحيان تحصيل المعنى المقصود لا يمكن إلا عن طريق دراسة هذه الظاهرة اللغوية.

الكلمات الدلالية: علم الدلالة، المصاحبة اللفظية، المصاحبة الفعلية، المصاحبة

الاسمية، لبيد بن ربيعة العامري.

*. أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة لرستان، إيران mahmudalhosaini@gmail.com

** .أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة لرستان، إيران

***. طالب مرحلة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة لرستان، إيران

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. جميل جعفرى

تاريخ القبول: ١٣٩٤/٥/١٩ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٣/١١/٢١ش

المقدمة

يعرف علم الدلالة بأنه «ذلك الفرع من علم اللغة الذى يتناول نظرية المعنى». (مختار عمر، ١٩٩٨م: ١١) والهدف من علم الدلالة هو الوصول إلى المعنى؛ فالتركيب هى من أهمّ وحدات اللغة ومستوياته الهامة التى يجب أن تعالج لتحقيق هذا الهدف. بعض الأحيان لا يمكن الوصول إلى المعنى إلا عن طريق تحديد المعنى الذى تكتسبه الكلمة من خلال تصاحبها مع كلمات أخرى، إذن أحسن طريقة لفهم معنى الكلمة هو وجودها فى التركيب الذى يسهم فى إبراز معناها. والمصاحبة اللفظية هى ظاهرة لغوية تلعب دوراً هاماً فى ربط الكلمات بعضها ببعض وفى تحديد معنى الكلمة. (حسام الدين، ٢٠٠٠م: ١، ٣٧)

المصاحبة هى ترجمة للكلمة الانجليزية "collocation" و فيرث هو أول من استخدم هذا المصطلح. (يونس على، ٢٠٠٤م: ١٢٢) تعددت الترجمات لهذه الكلمة الإنجليزية ومنها: التلازم؛ الاقتران اللفظي؛ الرصف والنظم؛ التضام؛ قيود التوارد؛ الاقتران المأثور؛ المقترنات اللفظية؛ المتواردات اللفظية. (عبد الفتاح الحسيني، ٢٠٠٧م: ٦٦) المصاحبة اللفظية هى كلمتان أو كلمات ينظر إليها على أنها وحدات معجمية مفردة، مستخدمة بحكم العادة فى ترابط بعضها مع بعض فى لغة ما. فكل كلمة لها مدى معين فى المصاحبة، وهذا المدى هو الذى يحدد استعمالها المؤدى للمعنى. (الدسوقي، ٢٠١٤ق: ٢٧٩) وهى «تعنى التكرار المشترك لبعض الألفاظ». (حسام الدين، ٢٠٠٠م: ١، ٣٧) أو «الترابط المعتاد لكلمة ما فى لغة ما بكلمات أخرى معينة فى جمل تلك اللغة». (يونس على، ٢٠٠٤م: ١٢٢)

تنقسم المصاحبات اللفظية حسب درجة تلازم الألفاظ بعضها ببعض إلى قسمين: المصاحبات اللفظية المفتوحة (الحرّة) Open collocations: هى أن ترد لفظتان أو أكثر معاً مع إمكانية استبدال لفظ بآخر دون أن يكون لذلك أثر على المعنى. ففى اللغة العربية يمكننا القول مثلاً "بادئ الأمر" وقد نقول "أول الأمر" فعلى الرغم من استبدال كلمة "بادئ" بـ "أول" لم يخل ذلك بالمعنى. (طالبي، ٢٠٠٨م: ٦٢)

المصاحبات اللفظية المقيدة Restricted collocations: هى أن ترد لفظتان

معاً بحيث تستعمل إحداهما بمعناها الحرفي وتستعمل الأخرى بمعناها المتخصص الذي يمكن أن يكون مجازياً. هذا النوع من المصاحبات يعكس معنى الأجزاء المكوّنة لها، مثلاً في «يشقّ طريقه» لا يعنى الفعل «يشق» معناه الحرفي أى «أن يقسم المرء شيئاً إلى شطرين» بل معنى مجازياً هو «أن يسلك المرء طريقاً صعباً». (المصدر نفسه: ٦٢)

المصاحبة اللفظية نوعان حسب درجة توقعها لدى المخاطب:

المصاحبة اللفظية العادية أو المتوقعة: وهى التى تعتمد على اتفاق واصطلاح المتكلمين باللغة. فإذا قال المتكلم: «غُصن»، توقع المخاطب كلمة «شجرة»، وإذا سمع كلمة «خبر» توقع كلمة «الماء».

المصاحبة اللفظية غير العادية أو غير المتوقعة: يرتبط هذا النوع بخصوصية النصّ ومبدعه سواء أكان كاتباً أو شاعراً. (حسام الدين، ٢٠٠٠م: ١، ٣٧)

المتلازمات اللفظية بديهية فى أغلب الأحيان، لا يشعر المرء بها حين استعمالها. تطفو هذه المعرفة البديهية على السطح حينما يحطم متلازم لفظى معروف باستعماله خطأً أو بتركيبه من عناصر غير متجانسة. (غزالة، ١٩٩٣م: ١) للبيئة أثر كبير فى تكوين قطاعات كبيرة من المصاحبات بين الألفاظ فمسألة قبول هذه المصاحبات أو رفضها يعود للبيئة المحيطة، مثلاً فى مصر يعبر عن الاتفاق وحيانة العهد والوفاء بـ«العيش و الملح» وفى السعودية يقال «تمر ولبن». (عبد الفتاح الحسينى، ٢٠٠٧م: ١٠٢)

معيّار المصاحبات اللفظية هو الإلف والعادة، وقال الدكتور الدسوقي: «الإلف والعادة هما اللذان يتحكمان فى استقرار استخدام لغوى ما، وهما اللذان يحكمان «التوقع» لوجود كلمة فى مصاحبة كلمة أخرى، وهذا التوقع يعنى أن جزءاً من معنى الكلمة الثانية يصاحب الكلمة الأولى». (الدسوقي، ١٤٢٠ق: ٢٨٠)

أهمية المصاحبة تتضح فى تحديد الدلالة فهى لا شك تسهم فى تحديد معنى الكلمة وتعين فى التمييز بين المفاهيم، فيها تحدد الكلمات التى يمكن أن تتوافق والتى يمكن أن تتفارق. (صالح حسين، لاتا: ٨١) كما تتضح فى تحديد المعنى المعجمى المراد لأنها توقفتنا على التجمعات التى ترد فيها الكلمات أو بعبارة أخرى معرفة السياقات اللغوية التى يحتمل استخدامها فيها، ويشبه ذلك إلى حد كبير ما يعرف عند المفسرين العرب باسم

«الوجوه (الأشباه) والنظائر» في القرآن الكريم حيث يستعمل اللفظ الواحد في سياقات مختلفة عديدة بمعان مختلفة. (البركاوى، ١٩٩١م: ٥٣)

وترمى هذه المقالة إلى دراسة ظاهرة المصاحبة اللفظية في شعر لبيد بن ربيعة العامري الذي يعدّ من أبرز الشعراء العرب في العصر الجاهلي ومن أصحاب المعلقات السبع. يتميز شعر لبيد بمجازة الألفاظ والتعابير والحبك المعجمي والسبك اللغوي، وتلعب المصاحبات اللفظية المتعددة على المستويين الفعلي والاسمي في شعره دورا هاما لصلابة كلامه حيث تعدّ من أهمّ الميزات اللغوية والأسلوبية لهذا الشاعر الحكيم الجاهلي. ويحاول هذا البحث في إطار الأسلوب التوصيفي - التحليلي الإجابة عن الأسئلة التالية:

كيف تسهم المصاحبات اللفظية في شعر لبيد في تحديد المعنى؟
ما هي أنواع المصاحبات الموظفة في شعر لبيد؟
أى نوع من المصاحبات اللفظية أكثر الشاعر من استخدامه؟

خلفية البحث

قد سبقت بحوث متعددة حول المصاحبة اللفظية هذا البحث، منها: مقالة "ترجمة المتلازمات اللفظية" (١٩٩٣) للدكتور حسن غزالة، التي تحدّث فيها الكاتب عن أقسام المتلازمات اللفظية، ومقالة "المصاحبة اللفظية وتطور اللغة" (١٩٩٩) للدكتور إبراهيم الدسوقي، ورسالة "الإحالة والمصاحبة في شعر محمود حسن إسماعيل" (٢٠٠٦) لأسامة محمد سليم عطية. ومقالة "المصاحبة اللفظية في شعر شوقي" (٢٠٠٤) لفريد عوض حيدر، ورسالة جامعية "المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم" (٢٠٠٧) لحمادة محمد عبد الفتاح الحسيني.

وأما حول شعر لبيد فقد أجريت دراسات كثيرة، وهنا نشير إلى بعضها: "المعجم اللغوي لديوان لبيد بن ربيعة" (١٩٨٠) لإبراهيم عبد الباري إبراهيم الشافعي. رسالة "الأساليب الإنشائية في شعر لبيد بن ربيعة مواقعها ودلالاتها" (١٤٣٠) لبدرية منور العتيبي. "شعر لبيد بن ربيعة دراسة أسلوبية" (٢٠٠٥) لوائل عبد الفتاح أحمد محمد. مقالة

"الإيقاع والدلالة في شعر لبيد بن ربيعة دراسة لغوية" (٢٠١١) لليلى السبعان. رسالة البناء الدرامي لشعر لبيد بن ربيعة العامري الجاهلي" (١٩٧٤) لمحمد صديق عمر غيث. وعلى حد ما نعلم لا يوجد أى بحث قام بدراسة المصاحبة اللفظية في شعر لبيد بن ربيعة العامري، ولهذا يمكننا القول إن هذا المقال هو أول بحث تطرق إلى دراسة هذه الظاهرة اللغوية في شعر لبيد.

المصاحبات اللفظية في شعر لبيد

تنقسم المصاحبات اللفظية في شعر لبيد إلى قسمين أساسيين: المصاحبة اللفظية على مستوى النمط الفعلي والمصاحبة على مستوى النمط الاسمي ولكل منهما أشكال متعددة:

١. المصاحبة اللفظية على مستوى النمط الفعلي

تتكوّن المصاحبة اللفظية الفعلية من فعل وكلمة أخرى تتصاحبان غالباً بسبب علاقتهما الوطيدة. ويأتى هذا النوع من المصاحبة اللفظية في أشكال وصور مختلفة، كصورة الفعل والفاعل، والفعل والمفعول به، والفعل وحرف الجر، والفعل مع فعل آخر في صورة العطف، ومنها في شعر لبيد:

ألف) المصاحبة بين الفعل والفاعل

قد أورد الشاعر بعض أفعال في صحبة فاعل خاص بسبب الصلة القوية بين الفعل وفاعله:

طاش السهم

صَادَفَنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامَهَا

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٤٦)

طاش بمعنى انحرف، وطاش السهم: انحرف وعدل عن الهدف، وطاش سهمه يقال لمن ضلّ وأخطأ الصواب. والشاعر في هذا البيت استخدمه للموت وأراد منه أن الموت يصيب من يقصد ويناله ولا مخلص ولا مفرّ له من هجوم الموت. واستعار الشاعر السهام

للموت واستعار للأخطاء لفظ الطيش؛ لأن السهم إذا أخطأ الهدف فقد طاش عنه.
(الزوزني، ٢٠٠٤م: ١٥١)

تغيب النجم

سريتُ بهم حتى تغيبَ نجمهم وقال النُّعُوسُ: نورَ الصُّبحِ فاذهبِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٢٩)

«تغيب النجم» مصاحبة لفظية تدلّ على أن الليل قد انتهى وطلع الصبح وبدا. والشاعر في هذا البيت افتخر بنفسه بالقول إنه رجل يهدى أصحابه في الليل. والهداية في الليل تدلّ على أن الشاعر لكثرة أسفاره ودؤوبه في السير يعرف مواقع النجوم ويهدى الآخرين بها ويجد طرق الصحارى ويصل إلى مرماه دون أن يضلّ وينحرف.

اصفرت الأنامل

وكلُّ أناسٍ سوف تدخلُ بينهم وُيهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

(لبيد، ١٩٩٧م: ١١١)

قد جاء الفعل (تصفرّ) مصاحباً للفظة الأنامل في هذا البيت، وتدلّ المصاحبة في تركيب "تصفرّ الأنامل" على الموت؛ العرب عبروا عن الموت بعبارات مختلفة داخلية في باب الكناية، منها "اصفرت أنامله" لأن اصفرار الأنامل من صفات الموتى. (ابن أبي الحديد، لاتا: ٥، ٤٥) صفة الأنامل لا تكون إلا لدى الموت، والمرء إذا مات تصفرّ أنامله وتسودّ أظفاره. وقد أراد الشاعر من الإتيان بهذه المصاحبة أن يقول إن كلّ الناس لا بدّ أن يواجهوا الموت ولا مفرّ لهم عنه.

اسجهر الآل

وناجيةٍ أنعلتُها وابتدلْتُها إذا ما اسجهر الآلُ فيكلِّ سبب

(لبيد، ١٩٩٧م: ٣٢)

اسجهر: ظهر وانبسط. والآل: السراب. واسجهرّ السراب إذا تريّه وجرى. (ابن منظور، لاتا: ٣، ١٩٤٨) "إذا اسجهرّ الآل" مصاحبة لفظية تفيد زمن اشتداد الحرّ.

وقد أراد الشاعر من استخدام هذه المصاحبة اللفظية أن يصف قوة ناقته في السير في الشدائد بالقول إنها ناقة سريعة وقوية تسير في المفاوز في الهواجر حين يمتد السراب وينبسط من شدة الحرارة.

فاض العينُ

دَعَتْنِي وَفَاضَتْ عَيْنُهَا بِمُخْدُورَةٍ فَجِئْتُ غِشَاشاً إِذْ دَعَتُ أُمَّ طَارِقٍ

(ليبيد، ١٩٩٧م: ٨٦)

الشاعر استخدم لفظه "فاض" مع لفظه العين، وهو مجاز مرسل بالعلاقة المحلية أى دمع العين فاض؛ لأن العين لا تفيض بل الدمع هو الذى تفيض. وفاضت العين بمعنى البكاء، ويستعمل مصطلحات أخرى للبكاء أيضا وهى "سحت جفونه" و"سالت غروبه" و"سالت مذرآف عينيه" و"ذرفت آماقه". (اليازجى، ١٩٨٥م: ٧٤) مع أن فعلى "فاض" وسال" لهما وزن عروضى واحد لكن الشاعر استخدم في هذا البيت لفظه "فاض"؛ لأن الفيضان دلالته أشد من السيلان. في ظل استعمال هذا اللفظ أراد الشاعر إظهار شدة بكاء حبيته لكثرة حزنها وحينها.

(ب) المصاحبة بين الفعل والمفعول به

قد جاء بعض الافعال المتعدية مع مفعول خاص بسبب علاقتهما الوطيدة، منها:

توَجَّسَ الرِّزُّ

فَتَوَجَّسَتْ رِزُّ الْأَيْسِ فَرَاغَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَيْسُ سَقَامُهَا

(ليبيد، ١٩٩٧م: ١٤٧)

التوَجَّس هو التَّسَمع إلى الصوت الخفى. (ابن منظور، لاتا: ٦، ٤٧٧٢) والرِّزُّ هو الصوت تسمعه من بعيد وفي الأصل هو الصوت الخفى. (المصدر نفسه: ٣، ١٦٣٥) قد ورد فعل توَجَّس مصاحباً للرِّزُّ وما جاء في لسان العرب يظهر تلازم الكلمتين وتناسبهما معاً. يوجد فى البيت تلاؤم خاص وتناسب قوى بين كلمات "التوَجَّس" و"الرِّزُّ" و"عن ظهر غيب"؛ لأنها سمعت صوت الناس من بعيد وهو صوت خفى، واختيار هذه الكلمات

المتلازمة وتناسبها مع المعنى يدلّ على قدرة الشاعر في انتقاء ألفاظه.

أخمر ظنّة

ألفتك حتى أخمر القوم ظنّةً عليّ بنو أمّ البنين الأكابر

(لبيد، ١٩٩٧م: ٦٣)

أخمر بمعنى أضمر وستر. الظنّة: الشك والريبة. و"أخمر ظنّة" بمعنى أضمر الشك والريبة وتفيد أن القوم تشكّكوا في مدى إخلاص الشاعر ومحبته لهم.

ثلّ العرش

وعبد يغوثٍ تحجلّ الطيرُ حولَه وقد ثلّ عرشيه الحسام المذكر

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٩١)

ثلّ بمعنى هدم وأهلك. والعرش هو مغرز العنق في الكاهل. (ابن منظور، لاتا: ١، ٥٠٢) وثلّ عرشيه الحسامُ بمعنى ضُربَ عنقه بالسيف، وهذه المصاحبة تدلّ على أنّ عبد يغوث قُتل وهلك.

فكّ الكبل

وعانٍ فككتُ الكبلَ عنه، وسُدفةً سريتُ، وأصحابي هديتُ بكوكبي

(لبيد، ١٩٩٧م: ٢٩)

و"فكّ الكبل" بمعنى فصل أجزاءه وفتحه. وفكّ الكبل عن العاني بمعنى حرّره. وقد أتى الشاعر بهذه المصاحبة ليفتخر بنفسه بالقول إنّه رجل شريف وكريم وسخى يطلق الأسرى.

صرم الحبال

صرمتُ حبالها وصددتُ عنها بناجيةً تجلُّ عن الكلال

(لبيد، ١٩٩٧م: ٩١)

صرمَ بمعنى قطع، وكثيراً ما يستعمل مع الحبل كما ورد في هذا البيت بصحبة الحبل.

والحبال مجازاً أسباب الحب والمودة، "صرمت حبالها" مصاحبة لفظية ولها معنى استعاري في هذا البيت. شبّه الشاعر العشق بينه وحبيبته بحبل يربط بينهما والمصاحبة "صرمت حبالها" تدل على القطيعة. (اليازجي، ١٩٨٥م: ٨٤) وتعني: تركت حبيبتي وانصرفت عنها وقطعت أسباب العلاقة والمودة.

خَمَسَ الْوَجْهَ

فَقُومًا فَقُولًا بِالذِّي قَدْ عَلِمْتُمَا وَلَا تَحْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَ

(لييد، ١٩٩٧م: ٧٤)

خَمَسَ: خدش الوجه وجرح بشرته. قيل إنه قد يستعمل في سائر الجسد. (ابن منظور، لاتا: ٢، ١٢٦٥) وقيل إنه لا يستعمل إلا في الوجه. (الزمخشري، لاتا: ١، ٢٦٦) توجد مصاحبة أخرى في هذا البيت وهي "لا تحلقا الشعر"؛ لأن أحد معاني الفعل "حلق" هو إزالة الشعر وإذا استعمل بهذا المعنى لا يستعمل إلا مع الشعر ويستدعى ذكر هذا الفعل لفظ الشعر.

الناس كانوا يجرحون بشرة وجوههم ويحلقون شعر رأسهم في المصائب وفي مناسبات الحزن خاصة بعد موت أحدهم. والشاعر قد ذكر هاتين السنتين ولكنه نهى مخاطبيه عن فعلهما، وقد أراد من استخدامهما السلبي أن يقول اصبرا واجلدا في المصائب والشدائد ولا تحزنا ولا تجزعا.

أَبَيْتَ اللَّعْنَ

يُجْرِكُ عَنْ هَذَا خَيْرٌ فَاسْمِعْهُ مَهَلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ

(لييد، ١٩٩٧م: ٨٣)

"أبَيْتَ اللَّعْنَ" مصاحبة لفظية سميت "بمصاحبة الإطراء". وهذا النوع من المصاحبة تدل على عبارة خاصة تستخدم في الإطراء والثناء، ومن أمثلته: لا فُضَّ فوك، وسلمت يداك. (غزاة، ١٩٩٣م: ١١) و«أبَيْتَ اللَّعْنَ من تحايا الملوك في الجاهلية والدعاء لهم، معناه أبَيْتَ أن تأتي من الأمور ما تُلَعْنُ عليه وتُدْمُ بسببه.» (ابن منظور، لاتا: ١، ١٥)

عَضُّ الْأَنَامِلِ

وَأَثَنُوا عَلَيْهِ بِالذِّي كَانَ عِنْدَهُ وَعَضَّ عَلَيْهِ الْعَائِدَاتُ الْأَنَامِلَا

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٠٣)

العَضُّ هو الشَّدُّ بالأسنان على شيء. وهنا ورد مع لفظة "الأنامل" ولها معنى كناية وهي كناية عن الأسف والحسرة والندم، كما تستعمل تعابير أخرى لهذا المعنى أيضاً وهي "عَضَّ على يده" و"عَضَّ على بنائه" و"قد أكل بنائه ندماً" و"أفنى يديه ندماً". (اليازجي، ١٩٨٥م: ٩٦) وتفيد هذه المصاحبة في هذا البيت أن الناس تلهفوا على من له الذكر الحسن بعد موته وأسفوا وتحسروا على فقده.

اجْتِيَابُ الْخُرْقِ

وَأَبْيَضَ يَجْتَابُ الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجِي خَطِيباً إِذَا التَفَّ الْمَجَامِعُ فَاصِلَا

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٠٤)

اجْتَابَ بمعنى جاب وقطع. والخرق بمعنى المفازة الواسعة البعيدة يشتد فيها هبوب الرياح. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ٢٢٩) والإتيان بهذه المصاحبة يدل على أن ممدوح الشاعر هو رجل عزام وذو همة عالية ويكتسب ويحصل ما يريد ولا يصدّه شيء عما يروم ويؤمّ، كما أنه يجوب ويقطع المفاوز مع ألم في رجله.

(ج) المصاحبة العطفية (بالعلاقة التضادية)

التضاد هو الجمع بين شيئين متضادين. (السكاكي، ١٩٨٠م: ٦٦٠) وهو من المحسنات المعنوية التي لها أثر بالغ في إبراز المعنى وتجميل الأسلوب ويضفي على الكلام حسناً وجمالاً ويزيده رونقاً.

تشكل بنية التضاد خلخلة في بنية اللغة التي تصبح قائمة على المخالفة والمصادمة، ولكن هذه الخلخلة كفيلة بإيقاظ القارئ واستنفاره، كما أنها تقود إلى اليقظة لمواجهة مثل هذه الظاهرة الأسلوبية بشكل يحقق فيها اتصالاً مع النص المدروس. (رابعة، ٢٠٠٠م: ١٥٠) بلاغة التقابل لا تأتي من تضاد لفظين مجردين من السياق والبناء اللغوي وإنما يكون غموضها عندما تندمج وتلتبس مع قوالب المعاني فتصبح مرتكزاً بنائياً يتكئ

عليه النص اللغوي في مكوناته وعلاقاته، فتتولد جمالياتها من اندماجها وإضائها للنص اللغوي، مؤدية إلى وضوح دلالات تراكييبية. القيمة الفنية للتقابل تكمن فيما يحدثه التضاد من أثر متميز في الدلالة على صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه فيتبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده. (مطلوب، ١٩٨٢م: ٤٤٣)

وظف الشاعر في بعض الأبيات كلمتين متضادتين بينهما علاقة قوية تؤدي إلى تصاحبهما غالباً وتؤدي أحياناً إلى أن يخطر ببال السامع والقارئ تضاد الكلمة التي سمعها بسبب صلتها القوية، وبعض الكلمات قد تُعرف بضدها بسبب علاقتهما الوطيدة، ومنها:

أمرٌ وأحلى

وَألقى تَكْنِيَهَ الشَّجَاعِ اسْتِكَانَةً مِنْ الْجُوعِ ضُمْتَا لَا يُمِرُّ وَلَا يُجْلَى

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٢٥)

الصلة الوطيدة بين كلمتي "أمرٌ" و"أحلى" قد أدت إلى أن يستخدمهما الشاعر معاً. وفعل "أمرٌ" في هذا البيت هو كناية عن الضرّ والشرّ، وفعل "أحلى" هو كناية عن النفع والخير والإحسان. والمصاحبة في تركيب "لا يمرُّ ولا يجلى" تفيد أن الإنسان الشجاع لا يستطيع أن يفعل شيئاً ولا يقدر أن يضرّ ويؤذي ولا أن ينفع ويحسن. (لبيد، لاتا: ١٥٠)

يحمد ويلام

وَبِكُلِّ ذَلِكَ قَدْ سَعَيْتُ إِلَى الْعُلَى وَالْمَرْءُ يُحْمَدُ سَعِيَهُ وَيُلَامُ

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٣٣)

قد أراد الشاعر من استخدام هذه المصاحبة "يحمد ويلام" في النمط العطفى أن يقول إن مساعى المرء لا تُقبل لدى جميع الناس بل سعيه لدى بعضهم مقبول ويستحسنونه ويحمدونه ولدى بعضهم مرفوض ويلومون صاحبه. (المصدر نفسه: ١٣٣) وهذا الأمر يدل على أن الناس يختلف آراؤهم ويحبّ بعضهم ما يكرهه الآخرون.

د) المصاحبة بين الفعل والحرف

للحروف صلة وطيدة بفهم المعاني؛ لأن كثيراً من القضايا الدلالية يتوقف فهمها على

فهم الدلالة التي يؤديها الحرف في النصّ، وسميت حروف معان لهذا الغرض، لأنها تصل معاني الأفعال إلى الأسماء، أو لدالاتها علي معنى. تقوم حروف المعاني بدور مهم في بنية الجملة للغة العربية من جهة الدلالة على المعنى، أو الترابط والتماسك بين مفرداتها لتوضيح العلاقة بينها، مما لا يمكن أن يؤديّ بغيرها من أقسام الكلام. (خليفة راشد، ١٩٩٦م: ١٧٥)

تركيب الفعل والحرف من أبرز صور المصاحبة اللغوية التي يتجلّى فيها دور المصاحبة اللغوية في تحديد المعنى. «إنّ الفعل يظلمّ عام الدلالة، حتى تأتي الحروف فتختص دلالته في معنى محدد، ومن هنا تكتسب الحروف المركبة مع الأفعال أهمية قصوى في الدلالة. الفعل يختلف معناه باختلاف الحرف الداخل عليه.» (داود، ١٤٢٣ق: ١، ٦)

تتقسم المصاحبة اللفظية بين الفعل والحرف إلى قسمين في ديوان لبيد:

١- الأفعال المتعدية بواسطة الحروف: استخدم الشاعر حرف الباء لتعدية الأفعال اللازمة.

باء —

أَنْكَرْتُ بِاطْلَهَا وَبُوتُ بِحَقِّهَا عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كَرَامُهَا

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٥٢)

"باء" فعل يستخدم إما مع حرف "إلى" وإما مع حرف "باء"، وإذا استخدم مع "إلى" يكون بمعنى "رجع"، بقاء إلى الشيء: رجع إليه. وإذا استخدم مع "باء" فلها ثلاثة معان، أحدها بمعنى رجوع والآخر بمعنى عادية والأخير بمعنى أقرّب والشاعر في هذا البيت استخدمه مع حرف الباء وهي التي يتوصل بها الفعل اللازم إلى المفعول به وتسمى بقاء النقل أيضاً، وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً، وأكثر ما تُعدى الفعل القاصر. (ابن هشام، لاتا: ٩٠) بؤت بحقها أي أقررت بحقها واعترفت به.

أودى —

فَعِينِي إِذْ أودَى الْفِرَاقُ بِأرْبِدٍ فَلَا تَجْمُدَا أَنْ تَسْتَهْلَا فَتَنْدَمَا

(لبيد، ١٩٩٧م: ٨٢)

"أودى" فعل قاصر بمعنى هلك ومات يتعدى بواسطة حرف الباء ويكون بمعنى أهلك وذهب به.

ألوى بـ

وعين هلاً بكيت أربد إذ ألوت رياح الشتاء بالعصد

(ليبيد، ١٩٩٧م: ٥٣)

ألوى الانسان: أكثر من التمني، وإذا استعمل بعده حرف الباء يتعدى وله معنيان "ذهب بـ" و "أهلك"، ألوى به: ذهب به، وألوى به الدهر: أهلكه. (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م: ١٣٣٢) "ألوى بـ" في هذا البيت تكون بمعنى ذهب بـ وقد وصف الشاعر في الشطر الثاني أخاه أربد بالكرم والمروءة في الشدائد أي في أيام الشتاء حين تحطم الرياح الأشجار وتذهب بها.

ولّى بـ

فراق أخ كان الحبيب ففانتى وولّى به ريب المنون فأسرعا

(ليبيد، ١٩٩٧م: ٨٢)

"ولّى" فعل لازم ومعناه أدبر، وصار متعدياً بواسطة حرف "الباء" وبمعنى ذهب بـ وولّى به ريب المنون بمعنى مضى حوادث الدهر بأخ الشاعر وزايله عنه.
٢- الأفعال المركبة: هي أفعال تستعمل مع حروف جر معينة غالباً، مثل:

ذّب عن

نادى مُنادٍ ربّه فأسمعا فذّب عن بلاده وورّعا

(ليبيد، ١٩٩٧م: ٨٥)

الفعل "ذّب" له معان متعددة منها: لم يستقر في مكان واحد، وذبل وهزل، وجفّ وبيس، وطرّد. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ٣٠٨) لكنه إذا استعمل مع حرف "عن" فله معنى واحد وهو "دافع عن". فذّب عن بلاده بمعنى دافع عنه.

ألم على

ألم تُلم على الدمن الخوالى لسلمى بالمذانب فالقُفال

(لبيد، ١٩٩٧م: ٩٠)

قد يستخدم الفعل "ألم" مع حرف "على" ويكون بمعنى نزل به ألم على الدمن الخوالى: نزل بها ووقف عندها.

أثنى على

وأثنوا عليه بالذي كان عنده وعضّ عليه العائداتُ الأناملا

(المصدر نفسه: ١٠٣)

أثنى الحيوان: ألقى ثنيته. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ١٠١) وهذا الفعل يستخدم مع الحرف "على" غالبا ويتغير معناه عن مجرده، أثنى على فلان: أطراه ووصفه بالخير.

٢- المصاحبة اللفظية على مستوى النمط الاسمي

يتكوّن هذا النوع من المصاحبة اللفظية من اسمين ويشتمل على عدة أشكال، منها موصوف وصفة؛ مضاف ومضاف إليه ومعطوف ومعطوف عليه ويتكوّن من اسم وحرف.

ألف) المصاحبة الوصفية (الموصوف والصفة)

المصاحبة بين الصفة والموصوف من أهم صور المصاحبة اللفظية. فهي من أبرز الصور التي تظهر مدى التلازم بين الألفاظ؛ لأن بعض ألفاظ توصف بكلمات معينة فقط وبعض صفات تختص بألفاظ معينة فقط دون غيرها، ومنها في شعر لبيد:

قرن أعضب

يا أربد الخير الكريم جدوده خليتي أمشى بقرن أعضب

(لبيد، ١٩٩٧م: ٤٠)

"الأعضب" بمعنى المكسور، ومكسور القرن كناية عن لا ناصر له أو من ليس له أخ. (المصدر نفسه: ٤٠) وقد قصد الشاعر من الإتيان بهذه المصاحبة أن يقول إن أربد أخاه كان مظاهره ومعينه في جميع الأحوال، وترك الشاعر بعد موته وحيدا ضعيفا قد

ذهبت حدّته وبأسه.

الوابل المتحلّب

ولقد أراني تارةً من جعفرٍ في مثل غيثِ الوابلِ المتحلّب

(المصدر نفسه: ٤٢)

الوابل هو المطر الشديد، والمتحلّب هو السائل والجاري، وقد وصف الشاعر الوابل بالمتحلّب للكثرة والشدة. والشاعر قد قصد من توظيف هذه المصاحبة اللفظية أن يشبه قومه بالغيث الغزير لكثرة عددهم.

الزمن الكلاح

كان غياثَ المرملِ الممتاحِ وعصمةً في الزمّنِ الكلاحِ

(المصدر نفسه: ٤٦)

الكلاح هو السنة المجدية. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ٧٩٥) تدلّ مصاحبة "الزمن الكلاح" على كرم الممدوح وسخائه، يقول الشاعر إن الناس في زمن الجذب والقحط يلتجؤون إليه ويطلبون عونه.

المال التلاد

أقى العرضَ بالمالِ التلادِ وأشتري به الحمدانَ الطالبَ الحمدُ مُشترى

(ليبيد، ١٩٩٧م: ٦٦)

المال التلاد هو المال القديم الأصيل الذي ولد عندك وهو تقيض الطارف، وأصل التاء فيه واو. (الجوهري، لاتا: ٤٥٠) وتفيد هذه المصاحبة أن العرض هو أفضل وأثمن ما يمتلكه الشاعر ويبدل ما لديه من المال حتى المال الذي ورثه من آبائه لحفظ عرضه والذود عنه.

الخطيب الفاصل

وأبيضُ يجتابُ الخُرُوقَ على الوَجى خطيباً إذا التفَّ المجامعُ فاصلاً

(ليبيد، ١٩٩٧م: ١٠٤)

قد ورد لفظة "الفاصل" صفةً للخطيب في هذا البيت؛ لكنه يستعمل غالباً صفةً للكلام، فـ"الكلام الفاصل" بمعنى الكلام الذى يكون حقاً قاطعاً ولا رادّ له ويفصل بين الحق والباطل. والخطيب الفاصل هو أيضاً بمعنى الخطيب الذى يكون كلامه فاصلاً، أى كلام الخطيب يكون فيصلاً فى الأمور. وهذه المصاحبة فى هذا البيت تدلّ على أن ممدوح الشاعر له علو الشأن والمقام ويكون واقفاً بالأمور وبتميز الحق عن الباطل.

جَنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ

درى باليسارى جَنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ مُسَطَّعَةُ الْأَعْنَاقِ بُلُقُ الْقَوَادِمِ

(المصدر نفسه: ١٦٤)

الجَنَّةُ بمعنى البستان، وعبقر: هو من الأمكنة التى اقترن اسمها باسم الجن، وهو موضع بالبادية كثير الجن، وقيل هى أرض باليمن كان يسكنها الجن، وقيل إنه بلد كان قديماً وخرّب، كان ينسب إليه الوشى فلما لم يعرفوه نسبوه إلى الجنّ، وقيل هو جبل فى موضع بالجزيرة، ويقول بعض المحدثين يحتمل أن تكون هذه الكلمة فارسية الأصل مشتقة من كلمة (ابكار) بمعنى الرونق والعزة والكمال. وقد ورد هذا الاسم كثيراً فى شعر الجاهليين. (أبو على، ١٩٨٨م: ٢٥٦) نسب العرب إلى عبقر كلّ شىء تعجبوا من حدقه أو جودة صنعته، عبقرى نسبة إلى عبقر وهو صفة لكلّ ما بولغ فى وصفه وما يفوقه شىء. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ٥٨١) و"جَنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ" استعارها الشاعر للإبل فى هذا البيت، وتدل على كرم مرثيه ومروءته، وقد وصف الشاعر مرثيه بالجواد باستعمال هذه المصاحبة لأنه قد نحر لضيوفه أفضل إبله.

الكتيبة الرّواح

يا عامراً يا عامراً الصّباحِ ومِدْرَةَ الكَتِيْبَةِ الرّواحِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٤٦)

الكتيبة هى الفرقة العظيمة من الجيش تشتمل على عدد كثير من السرايا. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ٦٨٥) و"الرّواح" كثير العدد، الكتيبة الرّواح هى الجيش الضخمة

ذات العدد الكثير. قد وصف الشاعر الكتيبة بالرداح للمبالغة والتأكيد؛ لأن الكتيبة نفسها تدلّ على جيش جرّار. وقد قصد الشاعر من استخدام هذه المصاحبة أن يبالغ في وصف ممدوحه بعلو الشأن والمقام.

(ب) المصاحبة الإضافية (المضاف والمضاف إليه)

قد جمع لبيد بين اسمين في حالة إضافة بسبب ارتباطهما الخاص، ومنها:

لزوم العصا

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تُحنى عليها الأصابعُ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٨٠)

تدلّ المصاحبة اللفظية في تركيب "لزوم العصا" على زمن الشيوخوخة؛ لأن الإنسان عندما يهرم ويشيخ، يضعف ويفقد قواه ولا يستطيع أن يمشى بسهولة ولهذا يلزم العصا ويتوكأ عليها دائماً. وقال الشاعر في هذا البيت إن أبطأت منيتي ولا أمت في الصغر والحداثة أشخ وأصاحب العصا والمحن.

يوم الكريهة

فَجَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْفَارِسِ يَوْمَ الْكُرِيهَةِ النَّجْدِ

(المصدر نفسه: ٥٢)

يوم الكريهة مصاحبة تدلّ على الحرب، وسميت بهذا الاسم لأن الإنسان يكره الحرب.

بناتُ الدّهر

وأفنى بناتُ الدّهر أربابَ ناعطٍ مُسْتَمَعٍ دُونَ السَّمَاءِ وَمَنْظَرٍ

(المصدر نفسه: ٦٩)

قد أضيفت "بنات" إلى "الدهر" وأوجدت إضافة لفظية تكون بمعنى الأيام والليالي. (المصدر نفسه: ٦٥) أو بمعنى حوادث الدهر ودواهيته ومصائبه. إذا كانت المصاحبة بمعنى الأيام والليالي يقصد بها مرور الزمن وتفيد أن مرور الزمن يفنى الناس مهما كان لديهم

من القوة، وإذا كانت بمعنى حوادث الدهر ومصائبه تدلّ على أن حوادث الدهر تغلب الجميع حتى الأقوياء وتهلكهم.

زاجر الطير

لَعْمَرُكَ مَا تَدْرِي الصَّوَارِبُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

(المصدر نفسه: ٨١)

زجر الطير هو من عادة العرب للتنبؤ بالآتي وللتيمّن والتشاؤم. فإنهم كانوا يزجرون طائرة إن سنحت يتفاءلون بها وإن برحت يتشاءمون. (الحاج حسن، ١٩٩٨م: ٥٨) وهذه المصاحبة (زاجرات الطير) تدلّ على العيافة والكهانة وتفيد أن الناس لا يعرفون باستعانة التكهن ما قدر الله لهم ولا يعلمون مصيرهم ولا يتطلعون على الآتي.

رابط الجأش

رَابِطُ الْجَاشِ عَلَى فَرَجِهِمْ أَعْطَفُ الْجَوْنَ بِمَرْبُوعٍ مِثْلٍ

(ليبد، ١٩٩٧م: ١٢٠)

الجاش: رُوع القلب إذا اضطرب عند الفزع. (الفيروزآبادي، لاتا: ٥٨٦) ورابط الجأش مصاحبة لفظية بمعنى ثابت القلب أو قوى القلب والشجاع ويستعمل ربط الجأش وقوى الجأش للشجاع أيضا. (اليازجي، ١٩٨٥م: ٣١) وتكون استعارة مكنية، شبه الشاعر القلب بما يُربط ويُشدّ كالخيل ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه. «ورجل رابط الجأش وربيط الجأش أي شديد القلب كأنه يربط نفسه عن الفرار يكفها بجرأته وبشجاعته. وربط جأشه رباطة: اشتدّ قلبه ووثق وحزم فلم يفرّ عند الروع.» (ابن منظور، لاتا: ٣، ١٥٦١)

أطراف الأسل

قَدَّمُوا إِذْ قَالَ: قَيْسٌ قَدَّمُوا وَاحْفَظُوا الْمَجْدَ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ

(ليبد، ١٩٩٧م: ١٢٢)

أطراف جمع الطرف وهو منتهى كلّ شيء، والأسل: نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا

ورق، وسمي الرمح أسلا على التشبيه في اعتداله واستوائه ودقة أطرافه. (ابن منظور، لاتا: ١، ٨٠) وقد أضاف الشاعر لفظة أطراف إلى الرماح وهي مجاز مرسل بالعلاقة الآلية وهذه العلاقة «هي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر». (المهاشمي، لاتا: ٢٥٣) أطراف الرماح مصاحبة تعنى الحرب؛ لأنها تكون من آلات الحرب. وقد أراد الشاعر من استعمالها أن يقول إنهم قوم يحاربون الآخرين لحفظ مجدهم والدفاع عنه.

خطل اللسان

لَسْتُ بِغَافِرٍ لِبَنِي بَغِيضٍ سَفَاهَتَهُمْ وَلَا خَطَلُ اللِّسَانِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٧٨)

لفظ "خطل" ذو معانٍ متعددة ويختلف معناه باختلاف ما يضاف إليه. رجل خطل اليمين بالمعروف أي رجل جواد معطاء. (اليازجي، ١٩٨٥م: ٣٠) وإذا أضيف إلى الأذن يكون بمعنى الطويلة والمسترخية: رجل خطل الأذن معناها طويلة ومسترخية الأذن؛ وإذا أضيف إلى السهم بمعنى الطائش: رجل خطل السهم أي يذهب شمالاً ويميناً ولا يصيب الهدف؛ وإذا أضيف إلى اللسان له معنيان، الأول: الطويل، رجل خطل اللسان أي طويل اللسان، والثاني: الفاسد، رجل خطل اللسان أي فاسد الكلام وسيئ المنطق. وهذه المصاحبة في هذا البيت تدلّ على سوء المقالة وفساد الكلام وقبح المنطق.

(ج) المصاحبة العطفية (بالعلاقة التضادية)

يتكوّن هذا النوع من المصاحبة من اسمين معطوفين يبينان على علاقة التقابل أو التضادّ، نحو:

الملوك والسوقة

وَكَاثِنٌ رَأَيْتُ مِنْ مُلُوكٍ وَسُوقَةٍ وَصَاحِبَةٌ مِنْ وَفَدٍ كِرَامٍ وَمَوْكِبٍ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٢٧)

السوقة: الرعية من الناس، سموا كذلك لأن الملك يسوقهم ويعرفهم تبعاً لمشيئته. قد

أراد الشاعر من عطف هاتين الكلمتين المتضادتين بيان مخالطته أناسًا مختلفي المستويات بالقول إنه قد رأى من الناس من يكون رفيع المقام وعظيم الشأن ومن يكون محطوط القدر ووضع الشأن. وتدل هذه المصاحبة على طول عمر الشاعر وكثرة تجاربه. وسمي هذا النوع من التضاد، التضاد المتدرج وهو «يمكن أن يقع بين نهايتين لمعيار متدرج أو بين أزواج من المتضادات الداخلية. وإنكار أحد عضوي التقابل لا يعنى الاعتراف بالعضو الآخر». (مختار عمر، ١٩٩٨م: ١٠٢)

الحلال والحرام

دَمْنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيَسِهَا حَجِجٌ خَلَوْنَ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٣٦)

أراد بالحرام الأشهر الحرام وهي أربعة وبالحلال أشهر الحل وهي ثمانية، والسنة لا تعدو أشهر الحرم وأشهر الحل، فعبر عن مضي السنة بمضيها. (الزوزنى، ٢٠٠٤م: ١٣٤) هذا النوع من التضاد يُسمى التضاد الحاد أو غير المتدرج، «وهذه المتضادات تقسم الكلام بحسب دون الاعتراف بدرجات أقل وأكثر. ونفى أحد عضوي التقابل يعنى الاعتراف بالآخر. فإذا قلت إن فلانا غير متزوج فهذا يعنى الاعتراف بأنه أعزب.» (مختار عمر، ١٩٩٨م: ١٠٢)

الخلف والأمام

فَعَدَّتْ كَلَا الْفَرَجَيْنِ تَحَسُّبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٤٧)

المصاحبة في التركيب العطفى بين كلمتي الخلف والأمام في هذا البيت تدلّ على أن البقرة إن لم تر صاحب الصوت ولم تعرف موقفه وهي تسمع الصوت من جهة، ظنت أن كل جهة هي موضع صاحب الصوت، فذعرت لا تعرف مفرّها ومنجاها. وقد سمي هذا النوع من التضاد، التضاد التقابلي أو الامتدادى. (مختار عمر، ١٩٩٨م: ١٠٤)

أيمن وأيسر

على الأعراض أيمن جانبيه وأيسرُه على كورَى أثال

(لبيد، ١٩٩٧م: ٩٦)

عطف الشاعر لفظ "أيسر" على لفظ "أيمن" ليظهر حدود السحاب بالقول إن أيمن المطر على تلك المنطقة وأيسره على تلك الجبال، ومصاحبة الكلمتين المتضادتين في هذا البيت تفيد عظم السحاب وسعته وعموم نفعه. هذا التضاد هو التضاد التقابلي أو الامتدادى.

الريث والعجل

إن تقوى ربنا خيرُ نفلٍ وبإذن الله ريثى وعجل

(المصدر نفسه: ١١٦)

الريث هو التمهّل والإبطاء. وهذه المصاحبة تدلّ على كلّ ما يفعله الانسان وتفيد أن الانسان لا يعمل شيئا إلا أن يكون بإذن الله ومشيتته. التضاد بين كلمتي "الريث" و"العجل" هو التضاد المتدرج.

(د) المصاحبة العطفية (بالعلاقة التكاملية)

قد تأتى بعض الكلمات معطوفة على كلمة أخرى تقترب معانيها ولهذا الاقتران في المعنى تتصاحبان لتكميل المعنى، ومنها:

العمّ والأب والأمّ

لخيرنا عمّا وأمّا وأبا وعامرٌ خيرهما مركبا

(المصدر نفسه: ٤٢)

قد أراد الشاعر من عطف هذه الكلمات الثلاث "العمّ" و"الأب" و"الأمّ" التي بينها صلة وطيدة، أن يصف ممدوحه بعلو الشأن والمقام بالقول إن هذا الممدوح له أصل كريم وحسب شريف، وإنه نشأ وترعرع في أسرة تفوق الناس كلّهم. وهذه المصاحبة اللفظية تدلّ على الحسب والنسب.

المحافظ والمحامي

ألا ذهب المحافظ والمحامي

ومانعُ ضيمنا يومَ الخصامِ

(المصدر نفسه: ١٦٩)

"المحافظ والمحامي" كلمتان مترادفتان ومعطوفتان في هذا البيت. «الحماية تكون لما لا يمكن إحرازه وحصره مثل الأرض والبلد؛ تقول هو يحمي البلد والأرض وإليه حماية البلد، والحفظ يكون لما يحرز ويحصر وتقول: هو يحفظ دراهمه ومتاعه، ولا تقول: يحمي دراهمه ومتاعه، ولا يحفظ الأرض والبلد إلا أن يقول ذلك عامي لا يعرف الكلام.» (العسكري، لاتا: ٢٠٧)

تدلّ هذه المصاحبة على أن أريد قدكان رجلاً مغياراً وذا عصبية خاصة لقومه وقبيلته ويزود عنهم ويمنعهم ويدافع عما يجب حفظه وحمايته.

الترادف في هذا البيت هو الترادف الإشاري: ويقصد بالترادف الإشاري اتفاق لفظين أو أكثر في المشار إليه، وبناء على ذلك، يوصف اللفظان بالترادف الإشاري إذا كان المشار إليه فيهما واحداً، كصفات النبي (ص) المصطفى والمختار والبشير التي تشير جميعها إلى النبي (ص). (يونس على، ٢٠٠٧م: ٤٠٤) والمشار إليه في هذين اللفظين واحد وهو ممدوح الشاعر.

والد وولد

ما إن تُعرَى المنون من أحدٍ

لا والدٍ مُشفقٍ ولا وُلدٍ

(ليبيد، ١٩٩٧م: ٥٢)

قد عطف الشاعر لفظ "ولد" على لفظ "والد" وأوجد مصاحبة لفظية بسبب ارتباطهما القوي. وتفيد هذه المصاحبة أن الموت لا مفرّ منه لأحد وينال الناس كلّهم. لا والد ولا ولد مجاز مرسل بالعلاقة الجزئية وأريد منهما عامة الناس كلّهم، واستخدامهما تأكيد لعبارة "من أحد".

سارى وغادى وعشيّة

من كل سارية وغادٍ مُدجِنٍ وعشيّةٍ متجاوبٍ إرزامها

(المصدر نفسه: ١٣٦)

السارى هو السحاب الماطر ليلاً، الشاعر جمع للدّمن أمطار السنة كلّها؛ لأنّ أمطار الشتاء أكثرها يقع ليلاً، وأمطار الربيع أكثرها يقع غداً، وأمطار الصيف أكثرها يقع عشياً. (الروزنى، ٢٠٠٤م: ١٣٥)

وتدلّ هذه المصاحبة على أن هذه الديار والدّمن يصيبها المطر طوال السنة كلها في الربيع والصيف والشتاء، ولإصابتها هذه الأمطار المتعددة في الفصول المختلفة أصبحت أرضها خصبة وممرعة ومشعبة.

النتيجة

لقد عنى ليبيد بانتقاء ألفاظه ونظمها عناية كبيرة، وأوجد حسن ترتيب ألفاظه ورفضها تناسباً لفظياً ومعنوياً خاصاً في شعره. الصلة الوطيدة بين بعض الألفاظ قد أدت إلى تشكيل مصاحبات لفظية في أشكالها المتعددة في شعر ليبيد. ولعبت المصاحبة اللفظية دوراً هاماً في شعره في الوصول إلى المعنى المراد، لأنها تساعد في تحديد المعنى الذى اكتسبته الكلمة خلال تضامنها مع الكلمات الأخرى، بما أنّ أحسن طريقة لفهم معنى الكلمة هو وجودها في التركيب الذى يسهم في إبراز معناها.

لقد استخدم ليبيد المصاحبات اللفظية على المستويين الأساسيين الفعلى والاسمى في شعره، وهو وظّف من المصاحبات اللفظية على مستوى النمط الفعلى: المصاحبة بين الفعل والفاعل، وبين الفعل والمفعول به، والمصاحبة التضادية، والمصاحبة بين الفعل والحرف. واستخدم من المصاحبات اللفظية على مستوى النمط الاسمى: المصاحبة الوصفية (الموصوف والصفة)، المصاحبة الإضافية (المضاف والمضاف إليه)، والمصاحبة العطفية بالعلاقين التضادية والتكاملية. وقد وظف الشاعر المصاحبة الفعلية أكثر من المصاحبة الاسمية؛ المصاحبة بين الفعل والمفعول به أكثر تردداً بالنسبة إلى المصاحبات الفعلية الأخرى، ثمّ المصاحبة بين الفعل والحرف، ثمّ المصاحبة بين الفعل والفاعل،

وتقع المصاحبة التضادية في النهاية. ومن المصاحبات الاسمية، المصاحبتان الوصفية و الإضافية تردّدهما أكثر، ثم المصاحبة التضادية، والمصاحبة التكاملية أقل استخداما. المصاحبات اللفظية المستخدمة في شعر لبيد من المصاحبات العادية، واستخدام هذا الحجم الضخم من المصاحبات اللفظية في أنواعها المختلفة في الشعر يدلّ على مقدرة الشاعر وبراعته في إنشاد الشعر وإلمامه بالموضوع المتحدث عنه واهتمامه باختيار ألفاظه وانتقائها.

المصادر والمراجع

- ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبة الله. (لاتا). شرح نهج البلاغة. التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ١. قم: مكتبة آيت الله العظمى مرعشى نجفى (ره).
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (لاتا). لسان العرب. ط ١. القاهرة: دار المعارف.
- ابن هشام المصرى. (لاتا). معنى اليبب عن كتب الأعراب. ط ١. بيروت: دار إحياء التراث العربى.
- أبوعلی، محمد توفيق. (١٩٨٨م). الأمثال العربية والعصر الجاهلى دراسة تحليلية. ط ١. بيروت: دار النفائس.
- أبوהלلال العسكرى. (لاتا). الفروق اللغوية. التحقيق: محمد ابراهيم سليم. ط ١. القاهرة: دار العلم والثقافة.
- البركاوى، عبد الفتاح عبد العليم. (١٩٩١م). دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث. ط ١. القاهرة: دار الكتب.
- المجوهرى، اسماعيل بن حماد. (لاتا). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. التحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط ١. بيروت: دار العلم للملايين.
- الحاج حسن، حسين. (١٩٩٨م). الأسطورة عند العرب في الجاهلية. ط ١. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيع.
- حسام الدين، كريم زكى. (٢٠٠٠م). التحليل الدلالى لإجراءاته ومناهجه. ط ١. القاهرة: دار غريب.
- خليفة راشد، الصادق. (١٩٩٦م). دور الحرف فى أداء معنى الجملة. ط ١. بنغازى: جامعة قازيونس.
- داود، محمد. (٢٠٠٤م). القرآن الكريم وتفاعل المعانى. ط ١. القاهرة: دار غريب.
- الدسوقى، ابراهيم. (١٤٢٠ق). «المصاحبة اللفظية وتطور اللغة». مجلة كلية دارالعلوم. العدد ٢٥. صص ٣٢٨-٢٧٩.
- ربابعة، موسى. (٢٠٠٠م). جماليات الأسلوب والتلقى. ط ١. الاردن: مؤسسة حمادة للدراسات

الجامعية.

الزوزني، أبي عبدالله الحسين بن أحمد. (٢٠٠٤م). شرح المعقات السبع. ط ٢. بيروت: دار المعرفة.
السكاكي، أبي يعقوب يوسف. (١٩٨٠م). مفتاح العلوم. ط ١. بغداد: مطبعة دار الرسالة.
صالح حسنين، صلاح الدين. (لاتا). الدلالة والنحو. ط ١. لامك: مكتبة الآداب.
طالبى، آمنه فاطمة الزهراء. (٢٠٠٨م). إشكالية حدود الترجمة الآلية ترجمة نظام سيستران للمتلازمات اللفظية، (رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير بإشراف الدكتور عمار ويس). الجزائر: جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات.

عبد الفتاح الحسنى، محمد. (٢٠٠٧م). المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم، (رسالة جامعية لنيل درجة الدكتوراه بإشراف عبد الحليم محمد عبد الحليم ومحمود عبد العزيز عبد الفتاح). القاهرة: جامعة الأزهر.

غزالة، حسن. (١٩٩٣م). «ترجمة المتلازمات اللفظية». مجلة ترجمان. بيروت: دار العلم للملايين، العدد ١، صص ٧-٤٤.

الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب. (٢٠٠٥م). القاموس المحيط. ط ٨. بيروت: مؤسسة الرسالة.
ليبيد بن ربيعة العامري. (١٩٩٧م). ديوان لبيد. الشرح والضبط: عمر فاروق الطباع. ط ١. بيروت: شركة دار الأرقم.

_____ (لاتا). ديوان لبيد بن ربيعة العامري. ط ١. بيروت: دار صادر.

مجمع اللغة العربية. (٢٠٠٤م). المعجم الوسيط. ط ٤. مصر: مكتبة الشروق الدولية.

مختار عمر، أحمد. (١٩٩٨م). علم الدلالة. ط ٥. القاهرة: عالم الكتاب.

مطلوب، أحمد وكامل حسن البصير. (١٩٨٢م). البلاغة والتطبيق. ط ١. بغداد: وزارة التعليم العالى والبحث العلمى.

الهاشمى، السيد أحمد. (لاتا). جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع. الضبط والتدقيق: يوسف

الصميلي. ط ١. بيروت: المكتبة العصرية.

اليازجى، ابراهيم. (١٩٨٥م). نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد. ط ٣. بيروت: مكتبة لبنان.

يونس على، محمد محمد. (٢٠٠٤م). مقدمة في علمى الدلالة والتخاطب. ط ١. بيروت: دار الكتب الجديدة.